وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية

مُحَاضَرات في العقيدة الإسلامية
(الإلهيات)

جمع وترتيب
الاستاذ المساعد الدكتور
محمد محسن راضي
التدريسي في قسم العقيدة والدعوة والفكر

تعريف علم العقيدة وأسماؤه ومنزلته وفوائده

أولاً: تعريف العقيدة لُغَةً واصطلاحاً:

أ- العقيدة لُغَةً:

العقيدة لُغَةً: على وزن فَعِيلَة، من عَقَدَ يَعْقِدُ عَقْدَاً، ومعاني الباب تَدُّل كلها على الشَّدِّ وشدةِ الوُثُوقِ، وهو نقيض الحل، يُقَالُ: عَقَدَ الحبل والبيع والعهد، ثُمَّ شاع استعماله في التصميم والاعتقاد الجازم، يُقَالُ: اعتقد كذا، إذا عقد قلبه على رأيٍ.

قال أبن فارس:(عَقَدَ) العين والقاف والدال أصل واحد، يدلُّ على شدٍّ وشدةِ وُثُوقٍ، وإليه ترجع فروع الباب كلها، ومن ذلك: عَقَدَ الحبل والبيع والعهد يعْقِده: شدَّه.

وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقد، والجمع العقود، قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾**[المائدة:١].

والعقد: عقد اليمين، ومنه قوله تعالى: **﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾**[المائدة:٨٩].

وعقدة النكاح، وكل شيء: وجوبه وإبرامه.

واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير.

وهذه المعاني كلها دالة على الشَّدِّ، وهو نقيض الحل.

قال الزبيدي: والذي صرح به أئمة الاشتقاق أنَّ أصل العقد: نقيض الحل ...، ثُمَّ استعمل في أنواع العقود من البيوعات وغيرها، ثُمَّ استُعمل في التصميم والاعتقاد الجازم.

ب- العقيدة اصطلاحاً:

العقيدة اصطلاحاً: علم يُقْتَدَر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه.

والمراد بالعقائد ما يُقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية نسبة إلى دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ.

وعرِّف أيضاً بأنَّه: علم يبحث في إثبات العقائد الإسلامية بأدلتها اليقينية ودفع الشبه عنها.

ثانياً: أسماء علم العقيدة:

سُمِّيَ هذا العلم بأسماء عدة، من أبرزها:

١- **الفقه الأكبر**، وهي تسمية الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وذكر أنَّ: "الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام، ولأَنْ يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير".

٢- **علم التوحيد**، وسُمِّيَ بهذا الاسم؛ لأنَّ أشهر مباحثه وأهمها هو: مبحث توحيد الله تعالى.

٣- **أصول الدين**، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه يتكفل ببيان الأصول الاعتقادية، وهي ما يتعلق بالإلهيات والنبوات واليوم الاخر.

وهذه التسمية مقابل علم الفقه، الذي يتكفل ببيان الأحكام العملية الفروعية، ومقابل علم الأخلاق والسلوك.

٤- **علم الكلام**، وسُمِّيَ بذلك لأمور منها:

٤-١- لأنَّ مسألة كلام الله وخلق القران من أشهر مباحثه وأكثرها جدلاً، حتى كثر فيه الخصام.

٤-٢- لأنَّه يُورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصوم، مثله كمثل علم المنطق بالنسبة للفلسفة.

٤-٣- لأنَّ أصحابه تكلموا في أمور سكت عنها السلف من الصحابة والتابعين، كمسائل الصفات والقدر.

ثالثاً: منزلة علم العقيدة بين العلوم:

علم العقائد هو أساس العلوم الشرعية، فهي مبنية على هذا العلم؛ لأنَّه لو لم يثبت وجود صانع عالم قادر مرسل للرسل ومنزل للكتب لا يُتصور وجود علم التفسير، ولا علم الحديث، ولا علم الفقه وأصوله، ولا غير ذلك من العلوم الشرعية والمتصلة بها، فكلُّها متوقفة على علم الكلام والعقيدة مقتبسة منه، والآخذ فيها بدونه كمن يبني على غير أساس.

رابعاً: فوائد علم العقيدة:

لعلم العقيدة فوائد عدة، من أبرزها:

١- الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة اليقين، وهي المنزلة العالية المُرادة بقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[المجادلة:١١].

٢- إرشاد المسترشدين بإيضاح السبيل لهم إلى عقائد الدين، وإلزام المعاندين بإقامة الحُجَّة عليهم.

٣- حفظ عقائد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين.

أهمية العقيدة الإسلامية

تتجلى أهمية العقيدة الإسلامية بأمور عدة، وفيما يأتي أبرزها:

أ- **تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى:** فالعقيدة الإسلامية هي السبيل الوحيد لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، وذلك بما تغرسه في النفس من الإيمان بالخالق ووحدانيته، وأنَّه وحده المحيي والميت، والرازق والمانع، وأنَّه وحده من سيُحاسب الناس على ما قدموا في هذه الحياة، وأنَّ كل معبود سواه باطل، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[القصص:٨٨]، ولا يضرُّ ولا ينفع، ﴿**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[المائدة:٧٦].

فإذا اعتقد الإنسان بذلك تحرر من العبودية لغير الله تعالى، وكان عبداً لله تعالى وحده لا شريك له، وعلم أنَّ وظيفته في هذه الحياة تحقيق هذه العبودية لله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

ب- تحرير العقل من التقليد الأوهام: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان:٢٠، ٢١].

وفي الوقت نفسه تدعو إلى: **التفكير وإعمال العقل،** قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[الأنعام:٥٠]، وقال عز وجل: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران:١١٨].

ج- الالتزام بما ورد في القران الكريم والسنة النبوية: لأنَّ الاعتقاد بالله ربا وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ نبياً هو أساس تحكيم كتابه عز وجل، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[النساء:٦٥]؛ لذلك كانت العقيدة هي أساس الالتزام بأوامر الله تعالى، والانتهاء عن نواهيه، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرَاً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾[الأحزاب:٣٦].

د- تربية الضمير اليقظ: فيغدو الإنسان محاسباً نفسه عما قدَّم من أعمال؛ لأنَّه يعلم أنَّ الله عز وجل سيحاسبه ويجزيه على أعماله، قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧].

فيُراقب الله سبحانه وتعالى على الدوام، في عبادته وعمله وأكله وشربه وعلاقته بأسرته ومجتمعه، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)).

هـ- تهذيب السلوك والأخلاق: فيكون المسلم بتأثير العقيدة الإسلامية:

١- عزيز النفس، حراً، شجاعاً، لا يخضع إلا الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]؛ لأنَّه يعتقد أنَّ الأجل بيده تعالى وحده، والرزق منه تعالى وحده.

٢- متواضعاً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٥٤]، غير متكبر ولا فخور، قال عز وجل: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان:١٨].

٣- محباً للآخرين، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**))، باراً بهم، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**الْمُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنه بها كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يومَ القِيامَةِ**)).

٤- مؤثراً غيره على نفسه في بذله وعطائه، قال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[الحشر:٩]؛ لأنَّه يعتقد أنَّ المال مال لله تعالى.

٥- آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، وصبوراً على البلاء، قال تعالى: ﴿**يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[لقمان: ١٧].

٦- عاملاً متقناً عمله، ومخلصاً فيه بعيداً عن التواكل والتكاسل، قال تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[التوبة:١٠٥]، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إنَّ اللهَ يحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكم عملًا أنْ يُتقِنَه**)).

٧- قدوة ومثالاً حسناً في كل ما يقول ويفعل، متحليّاً بالخلق الرفيع والعمل الصالح، اقتداء بالمصطفى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ الأسوة الحسنة كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾[الأحزاب:٢١]، الموصوف بقوله عز وجل: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:٤].

وبذلك تكون العقيدة الإسلامية الأساس الأول في بناء شخصية المسلم، فيكون عضواً نافعاً في المجتمع، يهدف إلى مرضاة الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال، ويجعل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[الحجرات: ١٣]، نصب عينيه إذا فاضل بين الناس.

فإذا تحققت العقيدة في نفس الإنسان، وأثرت فيه فصلح حاله، صلُحت الأمة، وكانت كما أرد الله تعالى لها: عندئذ خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[آل عمران:١١٠]، وتكون شهيدة على الأمم، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويكون مثلها في التراحم والصلة كالجسد الواحد، كما وصفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قائلاً: ((**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمّى**)).

خصائص العقيدة الإسلامية

تتميز العقيدة الإسلامية بخصائص عدة أهمها:

أولاً: مصدرها إلهي:

العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية، فليس للبشر نصيب في وضع أسسها، ولا صياغتها، وإنَّما هي من الله تعالى وحده، ومصدرها الأول: كتاب الله القرآن الكريم، وهو مصدر الشريعة الإسلامية الأول، أنزله على رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[النحل:٨٩]، وتكفَّل سبحانه وتعالى بحفظه، حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر: ٩].

فالعقيدة الإسلامية، وهي أسُّ الإسلام الأول، وحي أوحى الله تعالى به إلى رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فلا مجال للتغيير والتحريف، قال عز وجل: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[يونس:١٥]؛ لذلك فإنَّ العقيدة الإسلامية تتسم بالقدسية والهيبة في نفوس المسلمين، فتُحتَرم وتطاع طاعة اختيارية لا إجبار عليها ولا إكراه.

بخلاف النظريات والأفكار والمبادئ المستوحاة من فكر البشر، التي يعتريها التغيير والنقض المستمر من قبل حاكمٍ، أو رجلِ الدين، وغيرهم.

ثانياً: استقلالها عن غيرها من العقائد:

العقيدة الإسلامية عقيدة قائمة بذاتها، فهي ليست اقتباساً من غيرها، ولا تقليداً، ولا تنقيحاً وتعديلاً لعقيدة سبقتها، مصدرها الرئيس كتاب الله العزيز وهو القران الكريم، ومصدرها الثاني السنة النبوية المشرفة.

وهي لا تقرُّ المادية الملحدة التي تجحد وجود الله تعالى، ولا الوثنية، ولا الاعتقاد بأكثر من إله، بل هي قائمة على توحيد الله المطلق، قال عز وجل: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[المؤمنون: ٩١].

ثالثاً: موافقتها للفطرة الإنسانية:

قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[الروم:٣٠]، فالإسلام دين الفطرة، والفطرة كما قال ابن عطية (تـ٥٤٢هـ)، هي:

"الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، التي هي معدودة مُهَيَّأة لأن يَمِيْزَ بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه جلَّ وعلا، ويعرف شرائعه ويؤمن به، وقيل: الفطرة المِلَّة أو الدين".

وفي الحديث القدسي: ((**إنِّي خَلَقْتُ عِبادِي حُنَفاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أتَتْهُمُ الشَّياطِينُ فاجْتالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطاناً**))، ومنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ، أوْ يُنَصِّرانِهِ، أوْ يُمَجِّسانِهِ**)).

فالإسلام هو دين الفطرة، وعقيدته عقيدة موافقة للفطرة.

رابعاً: نصوصها النقلية لا يعارضها العقل:

من خصائص العقيدة الإسلامية أنها ثابتة، إثبات العقيدة الإسلامية وبيان قواعدها هو النص من القران الكريم والسنة النبوية، لكن لم يكن ذلك من باب الاعتقاد الأعمى، بل أقام عليه الأدلة من العقل، وطلب من البشر أن يفكروا لتمتلئ نفوسهم إيمانا، فقال تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[يونس:١٠١]، وقال عز وجل: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ**﴾[الذاريات:٢٠].

وأقام القران الكريم الأدلة العقلية على وجوده تعالى ووحدانيته، والنبوة، واليوم الآخر، وبعث الأجساد من القبور، وعلى سائر جزئيات العقيدة، لذلك كانت عقيدة مقنعة للعقل، حاسمة لكل شكٍّ وريب.

ولا يوجد قط نص صحيح يخالف العقل، وإذا وجدت المخالفة فإمَّا أن تكون مخالفة ظاهرية وإمكانية الجمع بينهما حاصلة، وإمَّا أن تكون المخالفة ناشئة عن علة في العقل لقصور أو شُبهة، وإمَّا أن تكون المخالفة من جهة أن نسبة النقل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ غير صحيحة.

وفي ضوء ما سبق فإنَّ العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية موافقة للفطرة مقنعة للعقل.

أدلة إثبات العقيدة الإسلامية

أولاً: تعريف الدليل وأقسامه:

أ- الدليل في اللغة والاصطلاح:

الدليل في اللغة، يعني: المرشد للمطلوب، وقولهم: الدليل، هو: ما يُسْتَدَلُّ به، يعني: ما يحصل به الإرشاد للمطلوب.

أمَّا في الاصطلاح، فهو: ما يمكن التَّوصُّل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظنّ.

ب- أقسام الدليل:

١- أقسام الدليل حيث توقفه على النقل (السمع) أو العقل:

يُقسم الدليل من حيث مصدره، أي من حيث توقفه على النقل (السمع) أو العقل، على قسمين: نقلي (سمعي)، وعقلي.

الدليل النقلي (السمعي): ما دلَّ على المدلول لا بنفسه، ولكن مستنداً إلى خبر الصادق.

فهو يعتمد على الخبر المنقول عن الصادق.

اما الدليل العقلي: هو ما دلَّ على المدلول بنفسه، أي: من غير افتقار إلى خبر.

فهو لا يحتاج إلى الخبر المنقول.

٢- أقسام الدليل من حيث من دلالته:

ويُقسم الدليل من حيث من دلالته على المدلول، على قسمين:

الأول: الدليل القطعي، وهو: الجازم في دلالته على المدلول، فلا تردد فيه، ولا احتمال للنقيض، ويُطلق عليه أيضاً: **اليقيني.**

والثاني: الدليل الظَّنِّي، وهو: غير الجازم في دلالته على المدلول، بحيث يكون احتمال النقيض فيه قائماً وإن كان مرجوحاً.

وفي ضوء ما سبق ينقسم كل من الدليل العقلي والنقلي إلى قسمين، فينتج أربعة أقسام، وهي:

١- الدليل النقلي القطعي، وهو: ما كان قطعياً في ثبوته ودلالته، مثل: قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:١]، فطريق ثبوته قطعي، أي: الخبر المتواتر،[١] فالقرآن متواتر كله، ودلالته قطعية أيضاً، فلا تحتمل الشَّكّ؛ لأنَّه لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهو وحدانية الله تعالى.

---

[١] الخبر المتواتر، هو: الخبر المفيد بنفسه العلم بصدقه، بحيث ينقله جمع تمنع العادة وقوع الكذب منهم تواطؤاً أو اتفاقاً، عن مثله إلى منتهاه المستند إلى الحسّ.

٢- **الدليل النقلي الظني، وهو**: ما كان ظنياً في ثبوته أو دلالته، أو كلاهما، مثل قوله تعالى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾[المائدة:٦]، فطريق ثبوته قطعي؛ لأنَّه متواتر، ولكن دلالته ظنِّيَّة، لاحتمالها أكثر من معنى في القدر الواجب في المسح، ومثل كثير من أخبار الآحاد،[٢] فهي ظنِّيَّة في ثبوتها لأنَّها آحاد، وظنِّيَّة في دلالتها؛ لاحتمالها أكثر من معنى.

٣- **الدليل العقلي القطعي، وهو**: ما كان قطعياً في مقدماته كلها، مثل: دلالة النشأة الأولى على جواز المعاد عقلاً، فإنّ النظر في النشأة الأولى يوصل قطعاً إلى أنّ من أنشأها أول مرة قادر على أعادتها، فينتج: المعاد جائز عقلاً.

٤- **الدليل العقلي الظني، وهو**: ما كان ظنِّياً في مقدماته كلها أو بعضها، وذلك مثل: دلالة الغيم على نزول المطر، فمقدمات هذا الدليل ظنِّيَّة، وهي: نزول المطر عند وجود الغيم؛ لأنّ نزول المطر مع وجود الغيم، قد يحصل وقد لا يحصل.

ثانياً: أدلة إثبات العقيدة الإسلامية:

أ- أدلة العقيدة لابُدَّ ان تكون يقينية:

سبق أن ذكرنا في تعريف العقيدة اصطلاحاً، بأنَّها: علم يبحث في إثبات العقائد الإسلامية **بأدلتها اليقينية**، ودفع الشبه عنها.

وهذا يعني أنَّ الدليل المعتبر في إثبات العقيدة، هو: **الدليل اليقيني، أي: القطعي**، وهذا محل اتفاق بين العلماء، ويشمل الدليل اليقيني: الدليل العقلي اليقيني (القطعي)، والدليل النقلي اليقيني (القطعي)، من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ب- أنواع العقائد باعتبار دليل ثبوتها:

يمكن تقسيم العقائد من حيث دليل ثبوتها إلى ثلاثة أقسام:

١- عقائد يكون طريق ثبوتها العقل، وهذا يشمل إثبات وجود الخالق، وإثبات صدق النبوة، فكلاهما يعتمد على الدليل العقلي القطعي اليقيني.

٢- عقائد يكون طريق ثبوتها العقل والنقل، مثل: إثبات البعث بعد الموت، فإثبات إمكان وقوعه عقلي، ولكن إثبات وقوعه فعلاً، يتوقف على الدليل النقلي.

٣- عقائد يكون طريق ثبوتها النقل، مثل: إثبات عذاب القبر، والجنة ونعيمها، والنار وأهوالها، فهذه لا يمكن للعقل أن يخوض فيها.

---

[٢] **خبر الآحاد، هو: الخبر الذي لم يبلغ حدّ التواتر، لفقد شرط أو أكثر، سواء أكان راويه واحداً أم جماعة.**

ثالثاً: اختلاف العلماء في حُجِّيَّة خبر الآحاد في العقائد:

لم يختلف العلماء في أنَّ العقائد لابُدَّ لإثباتها من دليل يقيني، ولكنهم اختلفوا في الاحتجاج بخبر الآحاد في مسائل الاعتقاد، فمنهم ذهب إلى أنَّه لا يفيد إلا الظَّن، ومن ثَمَّة لا يُحتج به في مسائل الاعتقاد، ومنهم من ذهب إلى أنَّ خبر الآحاد يفيد العلم واليقين، ومن ثُمَّ هو حُجَّة في إثبات العقيدة، ومنهم من ذهب إلى أنَّ خبر الآحاد لا يفيد إلا الظَّن، ومن ثَمَّة لا يُحتج به في مسائل الاعتقاد.

القول الأول: إنَّ أخبار الآحاد ليست حُجَّة في إثبات العقيدة:

لأنَّها لا تفيد القطع واليقين، بل تفيد الظَّن؛ لذا فهي ليست حُجَّة في العقائد، ولكن يُحتج بها في الأحكام الفقهية العملية.

وهذا هو مذهب أكثر أهل العلم وجمهور أهل الفقه والنظر، كما ذكر ابن عبد البر في التمهيد، وجماهير المسلمين من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول، كما ذكر النووي في شرح صحيح مسلم، واحتجوا بأدلة كثيرة، منها:

١- لو أفاد خبر الواحد العلم واليقين (القطع) لوجب تصديق كل خبر نسمعه، لكنا لا نصدق كل خبر نسمعه ولو كان ناقله ثقة، ومن ثَمَّة فهو لا يفيد العلم.

٢- لو أفاد خبر الواحد العلم لجاز نسخ القرآن ومتواتر السنة به، لكونه بمنزلتها في إفادة العلم، لكن نسخ القرآن ومتواتر السنة به لا يجوز لضعفه عنهما، فدل أنه لا يفيد العلم.

٣- لو أفاد خبر الواحد العلم لجاز الحكم بشاهد واحد، ولم يُحتَج معه الى شاهد ثانٍ، ولا الى يمين عند عدمه، والحكم بشاهد واحد بمجرده غير جائز بالاتفاق، وذلك دليل على أنه لا يفيد العلم.

٤- ثبت عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنَّهم قد ردوا بعض الأحاديث الآحادية لمعارضتها ظاهر القرآن أو بعض الروايات الأخرى، فلو كانت أخبار الآحاد تفيد القطع لما ردوها.

٥- ومن أظهر الأدلة على عدم دلالة خبر الآحاد على العلم واليقين، أنَّ الاجماع منعقد على عدم عدِّ القراءات الآحادية من القرآن، وإن صح سندها، وأطلقوا عليها: (القراءات الشاذة)، فلا يجوز عدُّها من القرآن الكريم.

القول الثاني: إنَّ أخبار الآحاد حُجَّة في إثبات العقيدة:

فقالوا إنَّ أخبار الآحاد يحتج بها في المسائل العقيدية؛ لأنَّها تفيد القطع واليقين، فهي تفيد العلم الظاهر والعمل معاً، وهذا مذهب فريق من أهل الأثر، وغيرهم، واحتجوا بأدلة منها:

١- إنَّ النبي ﷺ حين كان يلتقي الناس أفراد وجماعات في موسم الحج كانوا يرجعون الى بلدانهم، فيخبرون أقوامهم بما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام، فدل على أن خبر الآحاد تقوم به الحُجَّة في قضايا العقائد كالفروع الفقهية.

٢- أهل قباء أخذوا بخبر الواحد في التحول إلى القبلة، وأقرهم الرسول ﷺ على ذلك.

وأجيب على هذه الأدلة:

إنَّ ما كان يُبلِّغ به هؤلاء الرسل، هي القضايا الأصلية الكلية، كوجود الله عز وجل ووحدانيته وأنّ القرآن كتاب الله تعالى، أنزله على رسوله محمد ﷺ، وإثبات المعاد والجنة والنار، ونحو ذلك مما دلَّ الدليل العقلي أو النص القرآني على قطعية صدقه وثبوته، فليس مستنداً في ثبوته إلى إخبار آحاد هؤلاء الرسل، بدليل لو أنّ المسلمين بقضهم وقضيضهم أخبروا أهل الملل الأخرى بأنّ محمداً رسول الله، إخباراً مجرداً لم يكن ذلك حُجَّة عليهم، ما لم يقيموا الدليل القطعي اليقيني على ذلك، أمَّا المسائل الفروعية الفقهية فلا مانع من أن يبلغها الآحاد بالاتفاق.

إنَّ كلام جمهور العلماء في أن العقائد لا تثبت بخبر الواحد ينطلق من أن الاعتقاد هو عقد القلب على الثابت الذي لا يمكن أن يطرأ عليه في وقت من الأوقات خطأ ولا وهم، وذلك لا يمكن حصوله إلا بالدليل القطعي اليقيني من العقل ونص القرآن والمتواتر من سنة رسول الله ﷺ، بشرط أن لا تحتمل الدلالة التأويل، وهذا هو الذي يحكم على منكره وجاحده بالكفر، وما عدا ذلك لا يمكن الاعتماد عليه في باب الاعتقاد، ولا يجوز وصف منكره بالكفر.

منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية

لما كان القرآن الكريم هو المنهل الأول في الإسلام، كان لابُدَّ من الرجوع إليه لكي نتبيَّن منهجه في عرض العقيدة الإسلامية، الذي يتضح من خلال المحاور الآتية:

أولاً: رفع القرآن مكانة العقل ودعا إلى إعماله:

١- أعلى الله سبحانه وتعالى العقل، ورفع مكانته، وعظم مقامه، قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[البقرة:٢٦٩].

٢- دعا القرآن الكريم إلى إعمال العقل، والنظر في ملكوت السموات والأرض، للوصول إلى الأجوبة الحقة، قال تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[يونس:١٠١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[العنكبوت:٢٠].

٣- عاب القرآن الكريم على المعطلين لعقولهم، قال تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء:٦٦-٦٧].

٤- عاب القرآن الكريم على من يكتفي بتقليد الآباء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[البقرة: ١٧٠].

ثانياً: عرض القرآن الكريم نظام الكون للتفكير به والتدبر بآلائه:

فقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي عرضت نظام الكون وبديع صنعه، لكي ينطلق منه الأنسان للتفكير بخلق الله تعالى، وتدبّر آلائه، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢].

فالقرآن الكريم عرض هذه المظاهر الكونية، كالسموات والأرض، والليل والنهار، والمطر والرياح، والنباتات بإشكالها، والمخلوقات بأنواعها، ليتدبر الإنسان هذه المخلوقات، ويعلم أنَّها ليست من صنع الإنسان، ولا غيره من المخلوقات، بل هي من صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه، ومن ثَمَّة يلزم أن يتجه الإنسان إليه مخلصاً بالعبادة.

أمَّا العاجز عن الخلق كالأصنام والمخلوقات الأخرى فلا تستحق العبادة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[الحج:٧٣].

ثالثاً: ذكر القرآن الكريم أصول العقيدة الاسلامية:

جاء القرآن الكريم على ذكر أصول العقيدة الإسلامية، في: الإلهيات، والنبويات، واليوم الآخر، وأقام البرهان عليها.

١- **ففي الإلهيات:** فبيَّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

- أنَّ الله سبحانه وتعالى هو ربُّ الكون، قال سبحانه:﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٢-٤].
- واستدل بمخلوقاته على وجوده تعالى، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[لقمان:١١].
- وأقام البرهان على أنَّه واحد لا شريك له، في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]
- ووصف نفسه بأوصاف الكمال والجلال، في آيات عدة.

٢- وفي النبوات:

فبيَّنت الآيات القرآنية أنَّ الله تعالى أرسل الرسل والأنبياء هداة للبشر إلى طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة، قال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:٣٦].

٣- وفي اليوم الآخر:

أوجب الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**﴾[التغابن:٧]، وأقام الدليل عليه بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[يس:٧٨-٧٩].

رابعاً: حكى القرآن الكريم أقوال المخلفين، وردَّ عليهم بالبرهان:

ومن ضمن منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية، أنَّه حكى أقوال المخلفين، وردَّ عليهم بالبرهان:

١- فردَّ على عباد الأصنام والأوثان بقوله عزَّ وجلَّ:﴿**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[العنكبوت:١٧].

٢- وردَّ على عبَّاد الكواكب والشمس والقمر، بقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[الأنعام:٧٦-٧٩].

٣- وردَّ على عبَّاد الملائكة، بقوله سبحانه: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**﴾[سبأ:٤٠-٤١].

٤- وردَّ على اليهود، بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[الجمعة:٦-٧].

٥- وردَّ على من أعتقد أنَّ المسيح إله يعبد، قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[المائدة:١١٦].

٦- وردَّ على من يقول بأن الله اتخذ ولداً، بقوله سبحانه: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً ۞ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**﴾[مريم:٩٢-٩٣].

٧- وردَّ على منكري النبوة وكفرهم، قال عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

٨- وردَّ على منكري البعث والنشور، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الرعد:٥].

خامساً: عرض القرآن الكريم العقيدة بأسلوب سهل:

عرض القرآن الكريم العقيدة بأسلوب سهل يفهمه الأمي الساذج، والعالم المتبحر في شتى العلوم، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ۞ وَعِنَباً وَقَضْباً ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[عبس:٢٤-٣٢].

سادساً: أمر أن تكون الدعوة إلى الله تعالى بالطريقة الحسنة:

حين يعرض القرآن الكريم العقيدة الإسلامية الحقَّة، ويدلِّل عليها بمختلف البراهين، يأمر أن تكون الدعوة إليه بالطريقة الحسنة مع الابتعاد عن الجدل العقيم الذي يورث النفرة والبغضاء، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

وصوَّر الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) أدلة القرآن الكريم بأنها كالغذاء ينتفع به كل إنسان، وكالماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع والرجل القوي.

أصول الدين عند المذاهب الإسلامية

اختلفت المذاهب الإسلامية في تعداد أصول الدين، وسنقتصر على بيان أصول الدين عند ثلاثة من أشهر تلك المذاهب وهي: أهل السنة والجماعة، والشيعة الإمامية، والمعتزلة، والتي ترجع إليها عامة الفرق الأخرى، للوقوف على اختلافها في هذه الأصول، وما يترتب عليه من أثر.

أولاً: أصول الدين عند أهل السنة والجماعة:

أصول الدين عند أهل السنة والجماعة ستة، وهي ما ورد في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النَّبيَّ ﷺ عن الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، وقد وردت هذه الأصول في القرآن الكريم، فجاء على ذكر الخمسة الأولى في مواضع منها: قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ

يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾[النساء:١٣٦]، وجاء ذكر القدر في مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[القمر:٤٩].

الأصل الأول: الإيمان بالله تعالى:

وهو الاعتقاد بأنَّ الله تعالى موجِد المخلوقات، وأنَّه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا شبيه له، ومتصف بصفات الكمال والجلال من قدره وعلم وعدل...، ومُنَزَّه عن كل نقص من ظلم وعبث، ....

الاصل الثاني: الإيمان بالملائكة:

أ- وجوب الإيمان بالملائكة:

الملائكة أجسام نورانية ليست أجسام مادية، ووجودهم ثابت بنص القرآن، قول تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[البقرة:٢٨٥]، وأوجب الله تعالى علينا الإيمان بهم، وجعل إنكار وجودهم كفراً، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾[النساء:١٣٦].

ب- أوصافهم:

أما أوصاف الملائكة فلسنا مكلفين بتتبعها إلا من النص القطعي، وممَّا ورد من أوصافهم:

١- أنَّهم معصومون عن الخطأ، قال تعالى: ﴿**لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[التحريم:٦].

٢- لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع.

٣- قادرون على التمثل بصورة بشر.

ج- أعمالهم:

وقد وكلَّ الله تعالى الملائمة بأعمال كثيرة، ومنها:

١- الاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم. ٢- حمل عرش الرحمن جل جلاله. ٣- كتابة أعمال البشر.

٤- رعاية البشر والمحافظة عليهم. ٥- إنزال الكتب السماوية. ٦- قبض الارواح.

٧- حراسة الجنة ورعاية أهلها. ٨- حراسة النار وتعذيب أهلها.

وغير ذلك من الأوصاف والوظائف الواردة في القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب السماوية:

أمر الله سبحانه أنَّ نصدق بالكتب السماوية إجمالاً، ونُؤمن بأنَّها نزلت بالحق، قال سبحانه: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ**﴾[المائدة:٤٤]، وقال عزَّ وجلَّ:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٤٦].

وأمر بالإيمان أنَّ القرآن الكريم كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[التغابن:٨]، وخصَّه بمزايا كثيرة، منها:

١- الحفظ من التحريف:

فتكفَّل الله سبحانه بحفظه من التحريف والتبديل، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]، فلا يطرأ عليه من الباطل شيء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤١-٤٢]، ولذلك لم يرد عليه تحريف كما ورد في الكتب السماوية السابقة.

٢- جعله متضمّناً الكتب السابقة وأوجب العمل:

فجعله الله تعالى متضمَّناً جميع التعاليم الإلهية السابقة، ومهيمناً عليها، وألزمنا سبحانه العمل به، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[المائدة:٤٨].

الأصل الرابع: الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

الأنبياء هم صفوة الخلق، اختارهم الله تعالى مبشرين ومنذرين، قال سبحانه: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر:٢٤].

والواجب الايمان بجميع الأنبياء والرسل أجمالاً، سواء الذين ذُكرت أسمائهم في القرآن الكريم أو الذين لم تذكر أسماؤهم، ونؤمن أنَّ إنكار نبوة أحد منهم كفر، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة:٢٨٥].

ونؤمن بأنهم يتصفون بأفضل صفات البشر، ويتنزهون عن كل نقيصة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:٧٣].

ونؤمن أن محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[الأحزاب:٤٠].

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

وهو الاعتقاد بوجود حياة أخرى بعد الموت، يجد الإنسان فيها جزاء عمله في الدنيا، فيثاب بنعيم الجنة أو يعاقب بعذاب النار، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧].

ومنكر هذا اليوم كافر باتفاق المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾[النساء:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[التوبة:٢٩].

وبهذا الإيمان يحاسب الإنسان نفسه في الدنيا، لخوفه من حساب يوم الآخر.

الأصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

القضاء، هو: إيجاد الله تعالى الأشياء على وجه الإحكام والاتقان.

والقدر، هو: علمه تعالى أزلاً بصفات المخلوقات، أي: بما تكون عليه من حسن وقبح ونفع وضرر.

ومن العلماء من عكس ذلك، فجعلوا تعريف القدر للقضاء، وتعريف القضاء للقدر.

ومعنى الإيمان بهما هو: الاعتقاد بأنَّ ما يُصيب الإنسان من خير وشر واقع حسب تقدير الله تعالى وعلمه، ولا يخرج عن إرادته سبحانه.

ولا يعني هذا الإيمان أنَّ الانسان مجبر على أفعاله؛ لأنَّه إذا كان مجبراً بطل الثواب والعقاب وانتفت بعثة الأنبياء، بل يعني تحقق علم الله تعالى السابق بكل شيء، وأنَّه مهما وقع من الإنسان فإنَّه لا يخرج عن إرادة الله تعالى.

ثانياً: أصول الدين عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية:

ذهب جمهورهم إلى أنَّ أصول الدين خمسة، هي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد.

الأصل الأول: التوحيد:

هو الاعتقاد بأنَّ الله سبحانه وتعالى واحد في: ألوهيته، فلا يُعبد سواه، وربوبيته، فلا شريك له في الخلق، وأفعاله، فهو مستقل بالخلق والرزق والموت والحياة ....

ومراتبه: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الافعال.

الأصل الثاني: العدل:

وهو الاعتقاد بأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، فهم كالمعتزلة يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين.

الأصل الثالث: النبوة:

جميع الانبياء والمرسلين الذين نص عليهم القرآن الكريم عباد مكرمون، بعثهم الله تعالى لدعوة الخلق إلى الحق، وأنَّ محمداً ﷺ خاتم الانبياء وسيد المرسل، وأنَّه معصوم من الخطأ والخطيئة.

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى عليه للإعجاز والتحدي، ولتعليم الأحكام، وأنَّه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، والأخبار الواردة الظاهرة في نقصه أو تحريفه شاذه ضعيفة، وهي أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، وهي إمَّا أن تُؤول أو يُضرب بها الجدار، كما قال الشيخ كاشف الغطاء.

ويعتقد الإمامية أنَّ كل من أعتقد أو ادعى نبوةً بعد محمد ﷺ أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله.

الأصل الرابع: الإمامة:

وهي منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدلَّ الأمة عليه ويأمرهم باتباعه.

ويعتقدون أنَّ الله سبحانه أمر نبيه أن ينص على علي، رضي الله عنه بالإمامة من بعده، ثُمَّ في أولاده من فاطمة رضي الله عنها من بعده.

ويعتقدون عصمة هؤلاء الائمة، ويرون وجوب وجود الإمام في كل عصر، وأنَّ الأرض لا تخلو من حُجَّة.

الأصل الخامس : المعاد:

وهو أن يُحيي الله سبحانه الخلائق بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[الزلزلة:٧-٨]، ويُعاد الشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال هذا فلان.

ثالثاً: أصول الدين عند المعتزلة:

أصول الدين عند المعتزلة خمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأصل الأول: التوحيد:

وهو العلم بأنَّ الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه، والإقرار به.

وبنوا على هذا الأصل: قولهم بنفي الصفات الإلهية، ومما يترتب عليه القول بخلق القرآن، وقولهم باستحالة رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين في الآخرة.

الأصل الثاني: العدل:

وهو الاعتقاد بأنَّ أفعاله تعالى كلها حسنة، وأنَّه لا يفعل القبيح، ولا يُخلُّ بما هو واجب عليه.

وبنوا عليه: قولهم بوجوب تعليل أفعال الله تعالى، وبالتحسين والتقبيح العقليين، وبأنَّ العباد يخلقون أفعالهم، وبوجوب اللُّطف الإلهي، ووجوب الصلاح والأصلح، ووجوب بعثة الرسل على الله تعالى.

الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

وهو الاعتقاد بأنَّ الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعَّد العصاة بالعقاب، وأنَّه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف ولا الكذب.

وبنوا عليه: إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وقصروها على التائبين من المؤمنين.

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

وهو أنَّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً كما تقول المرجئة، وليس كافراً كما تقول الخوارج، وإنَّما في منزلة بين منزلتي الكفر والايمان.

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومعنى الأمر بالمعروف إيقاع المعروف، ومعنى النهي عن المنكر زوال المنكر، وبناءً على هذا الأصل: تصدوا للزنادقة والمبطلين، وجاهدوا من خالف حكم الله تعالى.

رابعاً: الأصول التي اجتمعت عليها الفرق الثلاث:

اتفقت فرق أهل السنة والجماعة، والشيعة الإمامية، والمعتزلة على الأصول الآتية:

١- الإيمان إجمالاً بوجود الله تعالى، واتصافه بصفات الكمال، وتنزيهه عن كل صفة من صفات النقص.

٢- الإيمان إجمالاً بالنبوة عامة، ونبوة محمد ﷺ خاصة، وما بلَّغ به عن الله تعالى.

وهذا الأصل وإن لم يذكره المعتزلة ضمن أصولهم الخمسة لكنه معلوم مما كتبوه في إثبات نبوة محمد ﷺ وإعجاز القرآن، ومن مناظراتهم، ودفاعهم عن الشريعة الإسلامية ببراعتهم وحدة عقولهم، وهم يبحثونه ضمن أصل العدل.

٣- الإيمان إجمالاً باليوم الآخر، وأنَّ الناس مجزيون فيه على أعمالهم.

هذه الأصول الثلاثة هي أُصول الدين عند هذه الفرق جميعها؛ لأنَّ الذي لا يؤمن بأحدها يكون كافراً يخرج عن دائرة الإسلام بالاتفاق.

خامساً: الأصل الديني والأصل المذهبي:

أصول الدين نوعان: ديني، ومذهبي.

أ- **الأصل الديني، وهو**: الذي يكون مُنكره خارجاً عن دين الإسلام، وهذا مثل: الإيمان بالله، ونبوة محمد ﷺ، واليوم الآخر، فهذه تعدُّ أصولاً دينية، ومن ينكرها يكون خارج ملة الإسلام.

ب- **الأصل المذهبي، وهو**: الذي يكون مُنكره خارجاً عن دائرة المذهب، ولا يكون خارجاً عن دين الإسلام، وهذا مثل: أصل: (الإمامة) عند الإمامية الإثني عشرية، فمن لا يعتقد به في ضوء ما عندهم لا يعدُّ من جملة الإمامية، ولكنه لا يكون خارجاً عن ملة الإسلام، وكذلك أصل المنزلة بين المنزلتين عند المعتزلة، أصل مذهبي خاص بالمعتزلة، ومخالفه لا يعدُّ منهم، ولكنه لا يكون كافراً خارجاً عن دين الإسلام.

أدلة وجود الله تعالى: دليل الحدوث:

القسم الأول: (العَالَم حَادِث)

مقدمة:

مراعاة واقع المخاطبين في مسألة وجود الله تعالى:

– في مسألة إثبات وجود الله تعالى لابُدَّ من التمييز عند الكلام مع عوام الناس، وبين الدراسة التخصصية، فلابُدَّ من الاقتصار على ضرب الأمثلة السهلة من الواقع.

– قضية وجود الله تعالى ليست معقدة عند عموم الناس بل هي يسيرة، بخلاف بعض الشرائح التي وقعت فريسة للشَّك والإلحاد.

– قول الأعرابي: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على الحكيم الخبير؟!".

– الأنسان يقع أحياناً فريسة للإلحاد بسبب نوع الثقافة التي يتعامل معها، أو البيئة التي يعيش فيها، وغير ذلك.

– لابُدَّ أن يكون إيماننا بالله تعالى قطعياً يقيناً غير قابل للشك، منيعاً من تشكيك المشككين وشبهات الملحدين.

– باعتبارك طالب علم لابُدَّ أن تكون قادراً على الرَّدِّ ودحض تلكم الشبهات.

۞ دليل الحدوث: المقدمات والنتيجة:

ذكر علماء الكلام أدلة كثيرة على إثبات وجود الله تعالى للرد على منكري وجوده، ومن أشهرها: دليل الحدوث، وهو ينبني على مقدمتين اثنتين:

المقدمة١ --- العَالَم حادِث. **مقدمة صغرى**

المقدمة٢ --- كلّ حادِث لابُدَّ له من مُحْدِث. **مقدمة كبرى**

النتيجة: --- العَالَم لابُدَّ له من مُحْدِث يُحدثه.

أي: يُرَجِّحُ وُجَودَه على عدمه.

– ولكن المخالف المنكر لوجود الله تعالى سيشكك بهذه المقدمات، فلابد من إثبات صحتها.

أولاً: إثبات صحة المقدمة الأولى: العَالَم حَادِث:

قبل الخوض في إثبات صحة هذه المقدمة، لابُدَّ من بيان معنى: مصطلح العَالَم، ومصطلح حَادِث.

العَالَم، هو: كل ما عدا الله سبحانه وتعالى من الموجودات.

الحَادِث، هو: ما كان معدوماً، ثُمَّ وُجِدَ، وسُمِّيَ حادثاً؛ لأنَّه حدث وظهر لعلَّة أوجدته بعد أن لم يكن.

سيكون برهان المقدمة الأولى: **(العَالَم حَادِث)**، بطريقين: **الأول:** إنَّ التَّغيُّر دليل الحدوث، **والثاني:** إثبات حدوث الجواهر والأعراض التي يتركب منها العَالَم.

الطريق الأول: التَّغيُّر دليل الحدوث:

أي إقناع المخالف بأنَّ هذا العالم وُجِد بعد أن كان معدوماً بإقامة الدليل على ذلك، من حيث كون العالم مُتغيِّر، والتَّغَيُّر دليل الحدوث، وعلى النحو الآتي:

المقدمة١ --- العَالَم مُتغيِّر. **مقدمة صغرى**

المقدمة٢ --- كلُّ مُتغيِّر حَادِث. **مقدمة كبرى**

النتيجة: --- العَالَم حَادِث.

الطريق الثاني: إثبات حدوث الجواهر والأعراض التي يتركب منها العَالَم:

الطريقة الثانية لإثبات حدوث العَالَم، أي: صحة المقدمة الأولى: **(العَالَم حَادِث)**، من خلال إثبات حدوث الجواهر والأعراض التي يتركب منها العَالَم؛ لذا لابُدَّ أن نقدم الكلام بتعريف: الجواهر، والأعراض، والجسم.

أ- تعريف الجواهر، والأعَراض، والجسم:

الجواهر: جمع مفرده: جوهر، وهو: ما قام بنفسه.

الأعراض: جمع مفرده: عَرَض، وهو: ما قام بغيره، وبعض الأعراض تُدرك بالحواس الظاهرة، مثل: الحلاوة والصوت والألوان والروائح والبرودة والخشونة، وبعضها يُدرك بالعقل، مثل: كالقدرة والإرادة والعلم.

أمَّا الجسم، فهو: المُؤَلَّف من جوهرين فأكثر.

ب- إثبات حدوث العَالَم، من خلال إثبات حدوث الجواهر والأعراض:

إنَّ دليل إثبات صحة المقدمة الأولى: **(العَالَم حَادِث)**، من خلال إثبات حدوث الجواهر والأعراض التي يتركب منها العَالَم، يقوم على مقدمتين، وعلى النحو الآتي:

المقدمة١ --- العَالَم مركب من جواهر وأعراض. **مقدمة صغرى**

المقدمة٢ --- وكل من الجواهر والأعراض مُتغيِّر. **مقدمة كبرى**

النتيجة: --- العَالَم مُتغيِّر. لأنَّ التَّغَيُّر دليل الحدوث كما سبق برهانه.

- ولكن المخالف قد يعارض كون الجواهر والأعراض حادثة، فلابد من إثبات ذلك.

- دليل حدوث الأعراض:

إنَّ الأعراض حادثة، بدليل:

١- تَغَيُّرها من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم؛ وذلك: إمَّا بالمشاهدة كالحركة بعد السكون، والضوء بعد الظلمة، والسواد بعد البياض، والحرارة بعد البرودة، إلى غير ذلك، وبالعكس.

وإمَّا بالدليل؛ لأنَّ ما شُوهِد سكونه مثلاً على الدوام كالجبال، جازت عليه الحركة بزلزال.

٢- احتياج الأعراض إلى مُخَصِص يُخصصها بوقت حدوثها دون ما قبله وما بعده، فلابُدَّ من مُرَجِّح لوقوعه في ذلك الوقت؛ لأنَّ الترجيح من غير مرجح محال.

٣- افتقارها إلى جسم تقوم به.

- دليل حدوث الجواهر:

أمَّا دليل حدوث الجواهر، فإنَّه لَمَا ثبت أنَّ الأعراض حادثة، فإنَّ الجواهر تكون حادثة أيضاً؛ وذلك أنَّ الجواهر ملازمة للأعراض لا تنفصل عنها، فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان... إلخ، والأعراض حادثة كما تقدم برهانه، **وكلُّ ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله؛ لأنَّه سيكون عاجزاً ناقصاً مفتقراً.**

وإذا ثبت أنَّ كلاً من الجواهر والأعراض حادثة لَزِمَ أن يكون العَالَم المُركب منهما حادثاً، وبذلك تثبت صحة المقدمة الأولى: (العَالَم حادث)

أدلة وجود الله تعالى: دليل الحدوث:

القسم الثاني: (كلُّ حَادِث لابُدَّ له من مُحْدِث)

مقدمة:

– ذكرنا في المحاضرة الماضية أنَّ دليل الحدوث يقوم على مقدمتين اثنتين، هما:

الحدوث، وهو ينبني على مقدمتين اثنتين:

المقدمة١--- العَالَم حادِث. **مقدمة صغرى**

المقدمة٢--- كلُّ حادِث لابُدَّ له من مُحْدِث. **مقدمة كبرى**

النتيجة: --- العَالَم لابُدَّ له من مُحْدِث يُحدثه.

أي: يُرَجِّحُ وُجَودَه على عدمه.

– وأثبتنا صحة المقدمة الأولى، بطريقين:

الطريق الأول: من حيث إنَّ العالم مُتَغَيِّر، وكل مُتَغَيِّر حادِث؛ لأنَّ التَّغيُّر دليل الحدوث، إذاً العالم حادث،

والطريق الثاني: من حيث إنَّ العالم مُكوَّن من جواهر وأعراض.

فأثبتنا أنَّ الأعراض حادثة، بدليل:

١– أنَّها متغيرة من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، ...إلخ.

٢– أنَّها تفتقر إلى المُخصص الذي يخصصها بوقت معين، وبكم معين، ...إلخ.

٣– أنَّها تفتقر إلى جسم تقوم به.

– وبما أنَّ الجواهر ملازمة للأعراض، لا تنفكُّ عنها، فإنَّها تكون حادثة أيضاً.

– ومن ثَمَّ يكون العالم المُكوَّن منهما، أي من الجواهر والأعراض، حادثاً أيضاً، فَثَبَتَتْ صحة المقدمة الأولى (العالم حادث.(

– أمَّا محاضرتنا اليوم فهي في إثبات صحة المقدمة الثانية، وهي: **(كلُّ حادث لابُدَّ له من مُحدِث).**

ثانياً: إثبات صحة المقدمة الثانية: كلُّ حادث لابُدَّ له من مُحدِث:

إنَّ الدليل على أنَّ كلَّ حادث لابُدَّ له من مُحدِث يُحْدِثُه ويُوجِدُه من العدم، يمكن تلخيصه بالآتي:

– إنَّ المصنوع لا يخلو إمَّا أن يكون قد حدث بصانع صنعه وأوجده، أو يكون قد حدث بنفسه بلا صانع، فلا احتمال ثالث غيرهما.

– فإن لم يُوجد بصانع صنعه وأحدثه، لَزِم أن يكون المصنوع قد حدث بنفسه.

– ويلزم من حدوث المصنوع بنفسه ترجيح أحد الأمرين المتساويين، وهما: وجود المصنوع وعدمه، على مساويه بلا سبب، وهذا محال؛ لأنَّه لو حدث حادث بلا مُحْدِث، لَلَزم أن يترجَّح وجوده على عدمه بلا مُرَجِّح، وهو مستحيل بالبداهة.

أ- معنى الرُّجْحَان بلا مُرجِّح ودليل بطلانه:

١- معنى الرُّجْحَان بلا مُرجِّح

وترجع استحالة ذلك إلى أنَّه لو حدث حادث بلا مُحْدِث، لَلَزم أن يترجَّح وجوده على عدمه بلا مُرَجِّح، وهو مستحيل بالبداهة؛ لأنَّه يقتضي: **الرُّجْحَان بلا مُرجِّح**، ومعناه: أن يكون الشيء جارياً على نَسَقٍ معين، ثُمَّ يتحول عن نسقه من دون وجود أي مُغَيِّر لهذا النسق.

٢- دليل بطلان الرُّجْحَان بلا مُرجِّح:

إنَّ بطلان الرُّجْحَان بلا مُرجِّح واضح لكل ذي لُبٍّ؛ لأنَّ جميع العقلاء يعلمون أنَّه لابُدَّ لتحويل الشيء عن حاله السابقة من مُحَوِّل ومُغَيِّر، يفرض عليه هذا الوضع الجديد، وينسخ حاله القديمة.

٣- مثال على بطلان الرُّجْحَان بلا مُرجِّح:

– فمثلاً: لو ترك شخص كفتي ميزان متساويتين، لا ثقل في إحداهما، ثُمَّ زعم أنَّ إحداهما قد ترجَّحت على الأخرى من دون أي مؤثر خارجي، كنفخة هواء أو سقوط حجر، ....، وغير ذلك.

– أو زعم للناس أنَّ جهاز المذياع أوصل إليه أخبار العالم من دون أن يُدير صمامه لضحكوا منه وأشفقوا عليه، أو اتَّهَمُوه بالكذب أو الجنون.

ب- تَرَجُّح وجود العالم على عدمه:

وفي ضوء ما سبق نقول:

– كان العدم هو المنبسط محل العالم قبل وجوده، فالعدم كان أرجح من الوجود لِسَبْقِهِ عليه.

– ولكن حين خُلْق هذا العالم ترجَّح وُجودُه على العدم، والوجود والعدم أمران متساويان في الأصل، وترجيح أحد هذين الأمرين المتساويين على الآخر بلا مُرَجِّح مستحيل وباطل ببداهة العقول.

ج- ثبوت أنَّ كلُّ حادث لابُدَّ له من مُحدِث

– إذاً فالقول بأنَّ العدم قد تحول إلى وجود العالم من دون مُسبب لهذا الوجود، باطل ومستحيل استحالة دعوى صاحب الميزان والمذياع.

– وبذلك تسلم لنا المقدمة الثانية، وهي: **كلُّ حادث لابُدَّ له من مُحدِث.**

أدلة وجود الله تعالى: دليل الوجوب

القسم الأول: مُوْجِد العَالَم لا يخلو من ثلاثة احتمالات

مقدمة:

- محاضرتنا لهذا اليوم حول الدليل الثاني من أدلة إثبات وجود الله تعالى، وهو: دليل الوُجُوب.
- الفرق بين طريقة البحث في دليل الحدوث عن دليل الوُجوب، يتجلى في أنَّ البحث في دليل الحدوث ينصب على العَالَم نفسه، أي على المخلوقات.

أمَّا البحث في دليل الوجوب فينصب على الاحتمالات العقلية المتعلقة بمُوْجِد هذا العَالَم.

أولاً: الحكم تعريفه وأقسامه:

الحكم، هو: اثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه بواسطة الشرع، أو العادة، أو العقل.

لذا يُقسم الحكم على ثلاثة أقسام: الشرعي، والعادي، والعقلي، وفيما يأتي بيانها:

أ- الحكم الشرعي:

وهو: ما كان وسيلة إثباته الشرع، أي أنَّ ثبوته يكون بأدلة الشرع سواء مباشرة من الكتاب والسُّنة، أو عن طريق الاجتهاد والاستنباط، مما أرشدا إليه من الأدلة الأخرى كالقياس والإجماع، مثل: إثبات الوجوب للصلاة، والصيام، وغير ذلك.

ب- الحكم العادي:

وهو: ما كان وسيلة إثباته العادة والتجربة، أي أنَّ ثبوته يعتمد على العادة التي اعتاد عليها الناس، من خلال تجاربهم في الحياة، مثل: إثبات الإحراق للنار.

ج- الحكم العقلي:

وهو: ما كان وسيلة إثباته العقل، أي أنَّ ثبوته يعتمد على العقل، فالعقل هو مستند ثبوته، مثل: إثبات الزوجية للعدد: (٢) و(٤) ...إلخ.

والحكم العقلي هو عمدة دراستنا في العقائد، ويُقسم على أقسام ثلاثة: المستحيل، والممكن، والواجب.

أقسام الحكم العقلي:

١- المستحيل:

وهو: المنفي الذي لا يقبل الثبوت، فلا يمكن وُجُوده، ولا يُتصور حدوثه مطلقاً، أو هو ما لا يُتصور في العقل وُجُوده، مثل: إثبات شريك لله تعالى، وكتقدم الابن على أبيه في الوجود.

٢- الممكن:

ويُسمى أيضاً الجائز، وهو: الذي يقبل الثبوت تارةً، والنفي تارةً أخرى على التعاقب، أي: يمكن وجوده إذا وُجِد السبب الذي يُرَجِّحُ وُجُودَه، أو هو ما يصحُّ في العقل وُجُودَه وعدمه على السواء، ولا يُوجد إلا بمرجِّح، مثل: وجود الجنَّة الآن، وكوجودنا الآن في هذه القاعة.

٣- الواجب:

وهو: الثابت الذي لا يقبل الانتفاء، أو هو ما لا يُتصور في العقل عدمه، مثل: وُجوب القدرة لله تعالى، ووُجوب الزوجية للعدد: (٤).

ثانياً: دليل الوجوب: مُوْجِد العَالَم لا يخلو من ثلاثة احتمالات:

بما أنَّنا نقرُّ بوجود هذ العَالَم، فإنَّ مُوْجِد (صانع أو خالق) هذا العَالَم، لا يخلو من ثلاثٍ:

إمَّا أن يكون: مستحيلاً، أو ممكناً، أو واجباً؛ لأنَّ كل أمر لابُدَّ أن يتصف بواحد من هذه الأمور الثلاثة؛ لأنَّها أقسام الحكم العقلي كما تقدم، فلا رابع لها.

- والآن نأتي لمناقشة هذه الاحتمالات الثلاثة.

أ- مُوْجِد العالم ليس بمستحيل:

لا يجوز أن يكون مُوْجِد هذا العَالَم مستحيلاً؛ لأنَّ المستحيل لا يُتصور وجوده مطلقاً.

فهو عدم محضٌ، فلا يُمكن أن يُوجِد المستحيلُ غيره؛ لأنَّ فاقد الشيء لا يُعطيه.

فكيف يكون المستحيل مصدراً للوجود؟!

فبطل أن يكون مُوْجِد هذا العَالَم مستحيلاً.

ب- مُوْجِد العالم ليس بممكن:

ولا يجوز أن يكون مُوْجِد هذا العَالَم ممكناً؛ لأنَّ الممكن لا يوجد إلا إذا وُجِد سبب وجوده، وهذا السبب إن كان ممكناً أيضاً فعندئذ يحتاج إلى سبب آخر... إلخ، وهكذا .

وهذا يلزم منه الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فما أدى إليهما فهو باطل.

فبطُل أن يكون مُوْجِد الكون ممكناً.

ج- مُوْجِد العالم واجب الوجود:

ولَمَّا ثبت أنَّ مُوْجِد هذا العَالَم ليس بمستحيلٍ، ولا بممكن، تعيَّن أن يكون مُوْجِد هذا العَالَم واجب الوجود، فلا يحتاج وُجُودِهِ إلى سبب، بل هو سبب وجود العَالَم.

ومعنى واجب الوجود، هو: أنَّه لا يجوز عليه العدم، فلا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً.

أدلة وجود الله تعالى: دليل الوجوب

القسم الثاني: معنى الدور والتسلسل وأدلة بطلانهما

مقدمة:

– ذكرنا في المحاضرة السابقة أنَّ الاحتمالات العقلية المتعلقة بمُوْجِد (صانع أو خالق) هذا العَالَم لا تخلو من ثلاثٍ: إمَّا أن يكون: مستحيلاً، أو ممكناً، أو واجباً، وأثبتنا بطلان احتمال كونه مستحيلاً أو ممكناً، فتعيَّن أنَّ مُوْجِد هذا العَالَم واجبَ الوُجُود، فلا يحتاج وجوده إلى سبب، بل هو سبب وجود العَالَم.

– وكان ممَّا ذكرناه: إنَّ القول بأنَّ مُوْجِد العالم ممكناً يقتضي الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، وبيَّنا معناهما مُوجزاً؛ لذا ستكون هذه المحاضرة في بيان معنى الدور والتسلسل، وإقامة الدليل على بطلانهما.

أولاً: معنى الدور ودليل بطلانه:

أ– معنى الدور:

الدور، هو: هو أن يكون شيئان، كلٌّ منهما عِلة للآخر، كقولك: زيدٌ أوجد عمراً، وعمروٌ أوجد زيداً.

فكلٌّ من زيد وعمرو، يتوقف وجود أحدهما على الآخر، وهو الدور الباطل، وكل منهما يَظلُّ معدوماً حتى يأتي مؤثر خارجي.

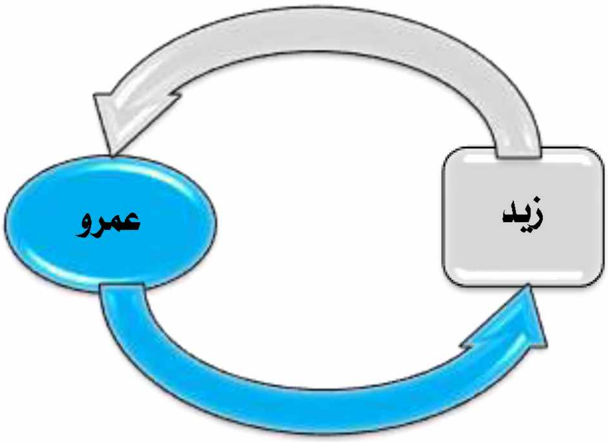

ب– دليل بطلان الدور:

إنَّ دليل بطلان الدور، هو: إنَّه يستلزم أن يكون كل واحد منهما سابقاً صاحبه، ومتأخراً عنه، في الوقت عينه، وهذا يعني استلزام تقدُّم الشيء على نفسه، وهو تناقض.

فعمرو يتوقف وجوده على زيد، وزيد يتوقف وجوده على عمرو، وهذا يعني أنَّ عمراً يتوقف وجوده على عمرو، بعد حذف الحد الأوسط (زيد).

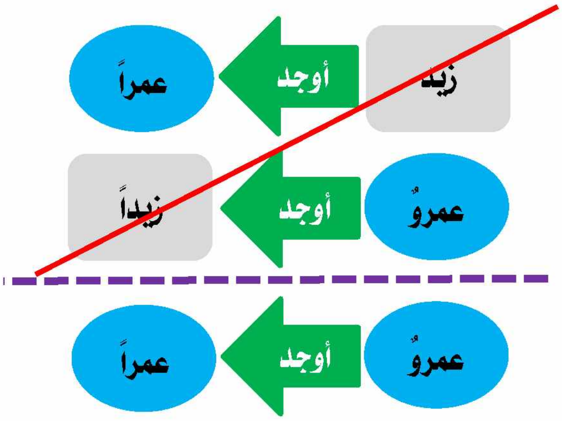

وهذا يستلزم تقدم الشيء على نفسه، أي: يلزم أن يتقدم عمرو على عمرو؛ لأنَّه سابق ومسبوق، فيلزم أن يكون عمرو موجوداً قبل أن يُوجد، وهذا باطل.

ج- مثال بطلان الدور:

وجود البيض متوقف على وجود الدجاج، ووجود الدجاج متوقف على وجد البيض، فلو فرضنا أن لا وسيلة إلى وجود هذا ولا ذاك إلا عن هذا الطريق، فإنَّ من البديهي أنَّ كلا من الأمرين يظلان معدومين حتى يأتي مؤثر خارجي، يُوجد البيض ويوجد الدجاج، فينتهي الدور عندئذ.

فإذا قيل:

إنَّ سبب حدوث العالم هو: التفاعل الذاتي في الموجودات بتأثير الضغط والحرارة والبرودة بمرور الزمان.

أُجيب: بأنَّ هذا هو الدور الباطل؛ لأنَّه يعني: أنَّ وجود العالم متوقف على بعض العالم، وهو: (الضغط والحرارة والبرودة، ...)، وبعضه متوقف في وجوده على العالم، وهذا يعني: تقدُّم الشيء على نفسه، وهو باطل كما تقدم.

ثانياً: معنى التسلسل ودليل بطلانه:

أ- معنى التسلسل:

التسلسل، هو: أن يستند الممكن في وجوده إلى علة مؤثرة فيه، وتستند تلك العلة المؤثرة إلى علة أخرى مؤثرة فيها، وهلم جراً إلى مالا نهاية.

فالتسلسل، يعني: أنَّ المخلوقات متوالدة عن بعضها، إلى مالا نهاية، بحيث يكون كل واحد منها معلولاً لما قبله، وعلة لما بعده، دون أن تنبع هذه السلسلة من علة واجبة الوجود.

ب- دليل بطلان التسلسل:

١- إنَّه يؤدي إلى وجود آلهة لا نهاية لها، كلّ منها متصف بالحدوث والعجز والافتقار، وهو باطل قطعاً؛ لأنَّه مُنافٍ لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق، إذ العاجز الفقير لا يَصِحُّ أن يكون خالقاً للعالم البديع الإتقان.

٢- التسلسل منقوض بالحس والمشاهدة؛ لأنَّ هناك مخلوقات انقرضت، فلو صح أنَّ الموجودات تتسلسل إلى ما لا نهاية، بحيث تكون كل حلقة فيها معلولاً لما قبلها، وعلية تامة لما بعدها، لما انقرضت هذه الموجودات؛ لأنَّ الحلقة الأخيرة فيها معلولة فقط، وليست بعلة كسابقتها.

ج- مثال بطلان التسلسل:

١- إذا رأيت رقماً حسابياً طويلاً، يتراصف إلى جانبه عدد كبير من الأصفار، فإنك تسرع لتنظر قبل كل شيء إلى العددي الأول، وما لم تقع عيناك على ذلك الرقم، فإنَّك لا تعطي قيمة للأصفار الكثيرة، مالم تستند إلى رقم ذاتي قبلها، لأنَّ الرقم الذي يملك قيمة ذاتية في داخله، هو الذي يضفي الحياة والقيمة على الأصفار المتسلسلة التي عن يمينه، فسلسلة الأصفار التي لم تَنْتَهِ إلى رقم عددي هي خالية عن أية قيمة، وافتراض التسلسل اللانهائي فيها لا يجعل لها أية قيمة.

٢- لو ادعيتُ أمامك حقيقة علمية، وحين سألتني عن الدليل أجبتك ببرهان يتوقف على برهان آخر، وحين سألتني عن برهان أجبتك ببرهان يتوقف على آخر،...، وهكذا، فإنَّك تُكذبني في دعواي، بل تُكذب وجودها أصلاً.

فكل من هذه البراهين المتسلسلة، التي فرضنا أنَّه لا نهاية لها، ليست إلا ظلالاً تنتظر أصلها الأول، فإن لم يُوجد ذلك الأصل، فهذه الظلال نفسها غير موجودة، ومن ثمَّ فإنَّ الحقيقة المُدعاة تكون غير موجودة أيضاً.

٣- لو أوقف قائدُ الجيش كلَّ جيشه في صفّ أفقي، وأصدر أمراً بإطلاق النار، لكنّه وضع شرطاً واحداً وهو: أن لا يُطلق أحدٌ النار حتّى يسمع من أطلق قبله، فإنَّ الجنديّ الأول لا يُطلق النار حتّى يطلق الثاني، والثاني لا يطلق حتّى يطلق الثالث، وهكذا، عندها لا يطلق أحدٌ النار، ومن ثَمَّ لابُدَّ من وجود من يُطلق النار في البداية من دون أيّ شرط، ولا يعتمد على غيره الإطلاق، وعندها يُطلق الجميع النار.

وإذا بطُل كلّاً من الدور والتسلسل، بطل ما أدى إليهما، وهو كون مُوْجِد العَالَم ممكناً، وعندئذ وجب أن يكون مُوْجِد العَالَم واجب الوجود لذاته.

الصُّدْفَة: تعريفها وبيان بطلانها

أولاً: الصدفة لُغَةً واصطلاحاً:

أ- الصُّدْفَة لُغَةً:

الصُّدْفَة في اللُّغَة: اسمٌ، والجمع: صُدُفات، وصُدْفات، وصُدَف، وهي: ما يحدث عرضاً دون اتِّفاق أو موعد، يُقال: صَادَف الشخصَ مُصَادَفةً، ورآه صُدْفةً، أو بالصُّدْفة: أي وجده ولقيه دون موعد أو قصد، وبطريق الصُّدْفة: بلا توقُّع أو انتظار، ووليد الصُّدْفة: ارتجالي أو فجائي، دون إعداد مُسبق، وتصادفا: تقابلا على غير وعد.

ومن هنا نعلم أنَّ الصدفة في اللُّغة تدُّل على: **<u>وقوع الشيء عرضاً من غير قصد إليه، ولا توقُّع، ولا ترتيب مسبق.</u>**

ب- الصُّدْفَة اصطلاحاً:

الصُّدْفَة في الاصطلاح، **هي: <u>ما يخرج على النظام والقانون المعروف، ولا يبدو له سبب ولا غاية واضحة.</u>**

ويمكن أن تُعرَّف الصدفة، بأنَّها: **كل عارض للإنسان لا يتوقعه، أو لا يعرف أسباب ظهوره.**

ج- لا يجوز اطلاق الصدفة في حق الله تعالى:

لابُدَّ من التمييز بين اطلاق الصدفة فيما يتعلق بنا نحن البشر عن اطلاقها في حق الله تعالى.

- فيجوز اطلاق الصدفة بالنسبة لنا نحن البشر، بمعنى من دون اتفاق أو ترتيب أو إعداد،... إلخ.

- أمَّا بالنسبة لله تعالى فكل شيء عنده بمقدار، وعَلِمَ بكل شيء قبل أن يكون، فلا يجوز اطلاق الصدفة في حق الله تعالى.

ثانياً: مفهوم الصُّدْفَة عند الملاحدة:

الصُّدْفَة عند الملاحدة لها عدة معانٍ، أبرزها ثلاثة:

أ- حدوث الشيء من دون علة:

أي: أنَّ الحدث عندهم لا تعليل له؛ لذلك يدعي هؤلاء أنَّ الكون نشأ صدفة من لا شيء، من دون علة، ويُطلق عليها: الصدفة المطلقة.

وهذا كمَنْ يزعم أنَّ غليان الماء من دون أي سبب، وهو باطل؛ فمن المستحيل حدوث شيء دون علة وسبب.

ب- حدوث الشيء بعلة مجهولة:

الجهل بالعلة يعني عدم العلم بالعلة، وليس معناه انعدام العلة، فهو يقرُّ بوجود علة، لكنه يزعم أنَّها مجهولة، وعدم الوجدان لا يقتضي عدم الوجود.

ج- حدوث الكون وانتظامه عبر سلسلة من العلل غير العاقلة، غير المُدْرِكَة:

وهذا المفهوم يتعلق بفكرة التسلسل، أي: أن يستند الممكن في وجوده إلى علة مؤثرة فيه، وتستند تلك العلة المؤثرة إلى علة أخرى مؤثرة فيها، وهلم جراً إلى مالا نهاية، وقد سبق بيان بطلانه.

ثالثاً: الرد على القائلين بالصُّدْفَة:

بعد بيان أبرز معاني الصدفة عند الملاحدة، فيما يأتي الرد عليها وبيان بطلانها:

أ- التفريق بين الخلق والترتيب:

زعم القائلون بالمصادفة، أنَّ الصدفة هي التي أوجدت، ودبرت ما في الكون على هذا الشكل.

والجواب: لابُدَّ من التفريق بين أمرين:

أولهما: خلق الشيء، وفكرة المصادفة تُسْتَبْعد منه؛ لأنَّه يؤدي إلى الدور الباطل كما تقدم.

ثانيهما: ترتيب الشيء وتركيبه، وهو محل البحث والنظر.

ب- قانون المصادفة وبيان بطلانه:

١- قانون المصادفة:

الصيغة الحرفية لقانون المصادفة: "إنَّ حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص، بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانات المُتَكَافِئَة المُزْدَحِمة."

بمعنى: أنَّه كلمَّا زاد عدد الاحتمالات كان حظ وقوع المصادفة قليلاً.

٢- أمثلة بطلان المصادفة:

لكي نفهم هذا القانون، ويتضح لنا بطلانه وعدم سريانه لابُدَّ من الأمثلة:

المثال الأول: البنسات مرقمة من: (١-١٠):

يقول الأستاذ كريسي موريسون: ضع عشرة بنسات مرقمة من: (١-١٠) في كيس وابدأ بسحبها، ترى أنَّ: فرصة سحب رقم: (١) هي بنسبة: (١ إلى ١٠)؛ لأنَّ كل رقم قد يكون له الحظ بالسحب.

وفرصة سحب رقم: (١و٢) متتابعين هي بنسبة: (ا الى ١٠٠).

وفرصة سحب رقم: (١و٢و٣) متتابعات هي بنسبة: (١إلى ١٠٠٠).

وفرصة سحب رقم: (١و٢و٣و٤)، متتابعات هي بنسبة: (١إلى ١٠٠٠٠).

وهكذا... حتى تصبح فرصة سحب الأرقام من: (١إلى ١٠) متتابعة، هي بنسبة: (١إلى ١٠ مليارات).

المثال الثاني: لو فرضنا أنَّك تملك عدداً هائلاً من الحروف:

إذا حاولت آلاف المرات سحب حرف بعد حرف من هذه المجاميع الكبيرة، وسطرتها واحداً بعد الآخر..

فهل يظهر لك، مهما كررت عملية السحب، ديوان المتنبي أو إلياذة هوميروس أو القران الكريم، ...إلخ؟!

قطعاً لا.. وهذا كله يدلُّ على بطلان المصادفة.

الإلحاد: تعريفه وأسبابه

أولاً: الإلحاد لُغَةً واصطلاحاً:

أ- الإلحاد لُغَةً:

الإلحاد لغةً: مشتق من الفعل: أَلْحَد، يُلحدُ إلحاداً، واسم الفاعل منه: مُلْحِد.

والإلحاد، يعني: الميل عن القصد والعدول عن الشيء، واللَّحْد: الشَّقُّ في جانب القبر.

ب- الإلحاد اصطلاحاً:

المُراد بالإلحاد في الاصطلاح:

إنكار وجود ربٍّ خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبّر أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادَّته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها.

- وفي ضوء ذلك المُلحد، هو: المنكر للدين ووجود الإله، ويُسمَّى أيضاً: لا ديني.

ج- التدين فطرة والإلحاد طارئ:

إنَّ التدين عموماً والاعتقاد بوجود الله تعالى، هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أما الإلحاد فهو طارئ على الفطرة، دخيل عليها.

- يقول الفيلسوف اليوناني سقراط (٤٧٠-٣٩٩ق.م): «كما يشعر الإنسان بحاجته إلى الهواء والماء والطعام، تشعر روحه في حاجة مبرمة أيضاً إلى غذاء معنوي إلهي، وهذا الشعور هو في عرفنا الدين».

- فهو يُشَبِّه التدين بالحاجات العضوية للإنسان من حيث إنَّ كلاً منها حاجة إنسانية مُلّحة.

ثانياً: أسباب الإلحاد:

ذكر القرآن الكريم أربعةً من أبرز أسباب الإلحاد، وفيما يأتي بيانها:

١- الكبر:

قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾**[الفرقان:٢١].

ففي الآية بيان: أنَّ الكبر وحده هو الذي دفعهم إلى أن يتصوروا أن الحياة هي كل شيء وليس وراءها إلا العدم.

٢- الانحراف:

قال تعالى: **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾**[غافر:٣٦-٣٧].

ففي الآية بيان: أنَّ طريق فرعون طريق خاطئ، دفعه إليه انحرافه عن الطريق السوي، الذي يُعرف به الله سبحانه وتعالى.

٣- الظلم:

قال تعالى: **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾**[النساء:١٥٣].

فكلمة (بظلمهم): تُبيِّن أنَّ الذي دفعهم إلى أن يطلبوا مثل هذا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق، إذ تعرفه وتتنكر له.

٤- الجهل:

قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**[البقرة:١١٨].

ففي الآية بيان: أنَّ هذا القول كلام جهال غير عالمين، وأنَّه ليس بجديد، بل هو منطق الكافرين دائماً، لتشابه قلوبهم، وقررت أنَّ الطريق إلى الله هي آياته وآثاره الدالة عليها.

ثالثاً: العلم داعية الإيمان:

لم يكن العلم في يوم ما داعياً إلى الكفر والإلحاد، بل على العكس؛ لأنَّه يتبع المنهج السليم في الوصول إلى حقائق الوجود ومظاهر الكون، ولم يقل في يوم: إنَّ هذا النظام الذي يجري عليه العالم قد نشأ صدفة؛ لأنَّ الصدفة فوضى، فهي تنافي قوانين العلم.

فالعالم الذي حلل في المختبر، أو عاش مع المنظار والمرصد، أو تعامل مع الأعداد...، لا يعترف إلا بالنظام، وربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج.

أ- السواد الأعظم من العلماء يميل التدين:

- الحق أنَّ السواد الأعظم من العلماء يذهبون إلى الاعتراف بالدين إجمالاً أو الإقرار بالخالق، وأشاروا إلى أنَّ العلم هو طريق ذلك.

- حلل العالم الألماني الدكتور (دينرت)، في بحث له آراء أكابر العلماء في القرون الأربعة الأخيرة، ودرس عقيدتهم، فتبين له من دراسة: (٢٩٠) عالماً، أنَّ (٩٢%) منهم يعترفون بالدين إجمالاً أو يقرون بالخالق.

- لو رجعنا إلى كتب عدة بحثت في هذه القضية، مثل كتاب: (الله.. بحث في نشأة العقيدة الإلهية) للعقاد، و(عقائد المفكرين في القرن العشرين) للعقاد أيضاً، و(العلم يدعو للإيمان) لكريسي موريسون، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، لو طالعنا هذه الكتب لوجدنا أسماء كثيرة جداً من العلماء الأعلام، يقرون بالخالق أو يؤكدون على التدين إجمالاً.

- الكثير من العلماء اتُهم بالإلحاد زوراً وبهتاناً، وقسم منهم .

ب- دوافع وقوع بعض العلماء في الإلحاد:

وفي ضوء ما سبق نعلم أنَّ الإلحاد ليس موقفاً أصيلاً للعلم، وأنَّ العلماء الذين كفروا بالله تعالى وأنكروا التدين، لم يكن كفرهم نتيجة بحث علمي دقيق، وإنَّما أحدثته ظروف خاصة، يمكن إجمالها بالآتي:

١- موقف الكنيسة التعسفي من العلماء والمفكرين:

إنَّ من أبرز دوافع بعض العلماء للميل نحو الإلحاد، كان موقف الكنيسة التعسفي من العلماء وعدم تشجيعها الفكر الحر.

- إذ حكمت على المخالفين منهم بالكفر والزندقة، ونفذت بكل همجية حكم الإحراق والتمثيل والقتل بالعشرات منهم، وأحرقت كتبهم، وهددت بالقتل كل من وُجِدت هذه الكتب بحوزته.

٢- موقف الكنيسة الظالم من الكادحين والأرقاء:

ومن هذه الدوافع أيضاً موقف الكنيسة الظالم من الكادحين والأرقاء والمظلومين، وكونها بجانب الملوك المستبدين من الإقطاعيين، وكون البابوات هم أصحاب السلطة الحقيقية وأصحاب المال وأصحاب صكوك الغفران.

- هذا الموقف دفع الكثير من المفكرين إلى الدعوة إلى نبذ الكنيسة، وإلى الإلحاد لإنقاذ المغلوب على أمرهم، مما يعانون به من شقاء وعنت.

٣- الإلحاد طريق الإباحية والتملص من المُثُل العالية:

يعدُّ الإلحاد، في كل زمان ومكان، طريقاً للإباحية والتنصل من المثل العالية، والالتزام؛ لذلك كان ملاذاً لأصحاب الشهوات والمنحرفين عن الخلق الرفيع.

٤- تبني الماسونية للإلحاد:

تغلغل اليهودية العالية عن طريق الماسونية، التي كانت تتبنى الإلحاد لهدم مقاومة المجتمعات والسيطرة عليها، وهذا الاتجاه الماسوني الملحد ظهر واضحاً في جماعة (الانسكلوبيديا)[٣] وأتباعهم وتلامذتهم، ممن قامت الثورة الفرنسية أكتافهم عام (١٧٨٩م).

---

[٣] الانسكلوبيديا: كلمة يونانية وتعني مجموعة العلوم والفنون وعلوم الطبيعة والتقنية، الخ، وتقابلها في العربية: (الموسوعة)، أو (دائرة المعارف)، وجماعة الانسكلوبيديا، وهم: مجموعة من المفكرين الأوربيين الذين كانوا يشددون في طروحاتهم على المنهج العقلي المتحرر، المبني على إنكار التدين، لمحاربة الحكم الملكي الفرنسي المستبد، لا سيما أيام لويس الرابع عشر.

الصفات الإلهية: أقسام الصفات، والصفة النفسية

أقسام الصفات الإلهية

قسَّم بعض العلماء الصفات الإلهية إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: الصفة النفسية، وهي: الوجود.

القسم الثاني: الصفات السلبية، وهي خمس: القِدم، والبقاء، ومخالفة الحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

القسم الثالث: صفات المعاني، وهي سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة.

القسم الأول: الصفة النفسية، وهي: الوجود:

أ- تعريف الصفة النفسية، وهي: صفة الوجود:

وتعني: اتصاف المولى سبحانه وتعالى بالوجود .

تعريف الصفة النفسية، هي:

صفة ثُبُوتيَّة، يدلُّ الوَصف بها على نفسِ الذات، دون معنىً زائد عليها.

ب- شرح تعريف الصفة النفسية:

قوله في التعريف: «**صفة**»: جنس يدخل فيه سائر الصفات، فتشمل الصفة النفسية، والصفات السلبية، وصفات المعاني.

- معنى الجنس والنوع في الاصطلاح المنطقي.

ولَمَّا كان الكلام عن الصفة النفسية فقط، كان لابُدَّ من وضع قيد آخر لتخرج بقية الصفات.

قوله في التعريف: «**ثُبُوتيَّة**»:

نسبة إلى الثبوت، لكونها ثابتة في الذهن، فتخرج الصفات السلبية، كالقِدم، والبقاء، ....

- موجز معنى الصفات السلبية.

قوله في التعريف: «**يدلُّ الوصف بها**»:

أي: يدل الوصف بالمشتق منها، أي المشتق من (الوُجُود)، لا بها بنفسها، لعدم صحة ذلك، فنقول: الله تعالى موجود، أو نقول: الله تعالى متصف بالوجود، ولا يَصّحُ أن نقول: الله وجود.

قوله في التعريف: «**على نفس الذات**»:

أي أنَّها لا تدلُّ على شيء زائد على الذات، فالذات نفسها لا تُتُعقل إلا بوُجودها، يعني إلا إذا كان الوُجُود متحقق فيها؛ ولذلك سُمِّيْتْ هذه الصفة بـ(الصفة النفسية).

- ويخرج بهذا القيد صفات المعاني.

وقوله في التعريف: «**دون معنى زائد عليها**»، هو: تفسير لقوله: «**على نفس الذات**».

ج- الفرق بين وُجُود الله تعالى وَوُجُود المخلوقات:

قد يتبادر إلى الذهن إشكال، وهو: عندما نقول: الله تعالى موصوف بالوجود، وكذلك نقول عن الأنسان: موجود، والنبات موجود، والجماد موجود!!

بمعنى: كيف نصف الله تعالى بأنَّه موجود، وفي الوقت نفسه نصف غيره بالوجود أيضاً؟

فكان لابُدَّ من التفريق بين وصف الله بالوجود، وَوَصْفِ ما سواه بالوُجُود.

١- وُجُود الله تعالى كاملٌ ذاتيٌ:

إنَّ وُجُود الله تعالى هو وجودٌ كاملٌ ذاتيٌ، أي: أنَّه موجود لذاته، لا لعلة مؤثرة فيه؛ لأنَّ من خصائص الذاتي: أنَّه لا يقبل العدم.

- ربط الموضوع بدليل الوجوب.

الله تعالى واجب الوجود لذاته، فلا علة مؤثرة فيه لكي تُوجده؛ فهو سبحانه وتعالى لا يقبل العدم.

٢- وُجُود المخلوقات ناقصٌ تبعيٌ:

أمَّا وُجُود غير الله تعالى من المخلوقات، فهو: وجودٌ ناقصٌ تَبَعِيٌ، أي: أنَّه مُسْتَمَدٌّ من غيره، ومتوقف على مَنْ أوجده؛ لأنَّ من خصائص التبعي أنَّه لابُدَّ أن يقوم بين عدمين سابق ولاحق.

فكون وُجُوده ناقصاً؛ لأنَّ كل ما سوى الله يفتقر إلى المُوجِد أو المرجِّح الذي ينقله من العدم إلى الوجود.

وكون وجوده تَبَعِياً، أي: أنَّ الله تعالى هو الذي يَمُدُّه ليستمرَّ في الوجود، فلو تخلى الله تعالى عن هذا الكون لانعدم.

الصفات الإلهية: الصفات السلبية: صفة القِدم

الصفات السلبية

أ- الصفات السلبية، خمس، وهي:

القِدم، والبقاء، ومخالفة الحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

وتسمى هذه الصفات: بمهمات الأمهات؛ لأنَّه يلزم من نفي ضد هذه الخمسة تنزيه الله تعالى عن جميع النقائص.

ب- سبب تسمية هذه الصفات بـ(السلبية):

ليس المراد بكونها سلبية، أنها مسلوبة عن الله ومنفية عنه، وإلا لزم أن يثبت له الحدوث، وطروُّ العدم، والمماثلة للحوادث، بل المراد بكونها سلبية: أنَّ كل واحدة منها سلبت، أي: نفت أمراً لا يليق به جلَّ وعزَّ، فالقِدم سلب (نفيٌ) لأولية الوجود، والبقاء سلب لآخرية الوجود، ... وهكذا.

ج- الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمسة:

والصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمسة، إذ من جملتها:

أنه تعالى لا والدَ لَهُ ولا وَلَد، ولا زوجة، ولا بسيطاً، ولا مركباً، ولا في مكان، ولا في زمان، ولا جهة، وغير ذلك، وإنَّما اقْتُصِرَ على هذه الخمسة؛ لأنَّها أمهاتها.

وهذه الصفات لم يختلف بها العلماء، بل يتفق الجميع على القول بها.

والآن نأتي إلى شرح كل واحدة من هذه الصفات الخمس

صفة القِدم: معناها، ودليلها من العقل والنقل

أ- معنى صفة القِدم:

القِدم في حقه تعالى بمعنى: الأزلية، التي هي: كَونُ وُجُودِه غير مستفتح، فليس معناه تطاول الزمن، فإنَّ ذلك وصف الحادثات.

أو بعبارة أخرى: **معنى القِدم، هو:** أنَّ وجود الله تعالى غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بداية.

وضد القِدم: الحدوث.

معنى الأزلية: بمعنى أنَّه تعالى ليس مسبوقاً بالعدم، وعندما نحكم على شيء بأنَّ له بداية، يقتضي أنَّه كان معدوماً ثُمَّ انتقل من العدم إلى الوُجود، فصار لوجوده بداية.

ب- الدليل العقلي على صفة القِدم:

الدليل العقلي على قِدمه تعالى، هو: أنَّ الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا وسط بينهما.

ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث يحدثه، ومحدثه يحتاج إلى محدث، ... وهكذا.

فيلزم الدور أو التسلسل، وكل منهما محال، فوجب أن يكون قديماً.

ج- الدليل النقلي على صفِة القِدم:

١- قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ**﴾، في الآية: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾[الحديد:٣]، وجاء في الحديث في تفسير الأول: ((**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**)).

٢- وفي الحديث: ((**كَانَ اللهُ وَلَم يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ**))، وفي روايةٍ: ((**مَعَهُ**))، وفي روايةٍ: ((**غَيْرَه**)).

د- مشروعية إطلاق اسم القديم على الله تعالى:

دلَّ الحديث النبوي على مشروعية إطلاق اسم القديم على الله تعالى، فقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، إذا دخل المسجدَ: ((**أعوذُ باللهِ العظيمِ وبوجهِهِ الكريمِ وسلطانِهِ القديمِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ**)).

هـ- تصور صفة القِدم ومفهوم الازلية:

- من السهل على الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعدل والجلال ...؛ لأنَّه يفهم آثارها، ويستطيع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلا أنَّه يصعبُ عليه أن يُدرك صفة القِدم، وكذلك صفة البقاء؛ لأنَّه لا يحتفظ بصورة لها في الحياة، ولا حتى في ذهنه؛ لأنَّها خاصة بذات الله تعالى.

- لكن عدم إدراكه لها، لا يعني إنكارها؛ لأنَّ العقل يجزم بثبوتها، لقيام الدليل العقلي القطعي على ذلك.

- عندما يفكر الإنسان في الاشياء فإنَّه بمقتضى طريقة عقله في التفكير يربطها بالزمان والمكان، ولكن **لابُدَّ من تنزيه الله تعالى عن الزمان والمكان**؛ لأنَّه هو الذي خلق الزمان والمكان.

- لابُدَّ للإنسان أن يقرَّ الإنسان بمحدودية عقله، فرُبَّ أمر يدرك العقل إمكانه أو وجوده، وهو في الوقت نفسه يعجز عن تصوره وإدراك كنهه، وقديماً قال الفلاسفة وعامة العقلاء: «**عدم الوُجْدَان للشيء، لا يستلزم عدم وجوده في الواقع**».

الصفات السلبية: صفة البقاء: معناها، ودليلها من العقل والنقل

أ- معنى صفة البقاء:

معنى صفة البقاء: أنَّ الله تعالى أبدي، ليس لِوُجوده آخر، فيستحيل أن يلحق الله سبحانه وتعالى عدمٌ.

وضد البقاء: الفناء.

ومعنى الفناء، هو: العدم بعد الوجود.

ب- الدليل العقلي على صفة البقاء:

الدليل العقلي على بقائه تعالى:

١- لو لم يكن الله تعالى باقياً لكان فانياً، ولو كان فانياً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث، ومحدثه يحتاج إلى محدث ،... وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت بقاؤه سبحانه تعالى.

٢- لو جاز على الله تعالى العدم لا ستحال عليه القدم، وهو باطل بثبوت صفة القدم له تعالى.

قال اللَّقَّاني في متن الجوهرة: وكل ما جاز عليه العدم --- عليه قطعاً يستحيل القدم

٣- لو جاز عدمه، لاحتاج انعدامه بعد وجوده إلى علة، لاستحالة الترجيح بلا مُرَجِّح.

أي: لافتقر إلى علة تنقله من حالة الوجود إلى العدم؛ لبطلان الرُّجْحَان بلا مُرَجِّح، وهذه العلة تفتقر أيضاً إلى علة أخرى تنقلها من الوجود إلى العدم، ....، وهكذا، وهذا يؤدي إلى الدور أو التسلسل وكلاهما باطل، كما سبق.

ج- الدليل النقلي على صفة البقاء:

١- قوله تعالى: ﴿**الْآخِرِ**﴾، في الآية: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾[الحديد:٣]، وفي دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**)).

٢- قوله سبحانه: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[القصص:٨٨].

٣- قوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ۞وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[الرحمن:٢٦-٢٧].

صفة مخالفة الحوادث: تعريفها، ودليلها من العقل والنقل

أ- معنى صفة مخالفة الحوادث:

معنى صفة مخالفة الحوادث: أنَّ الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقاً.

وضد صفة المخالفة للحوادث: المماثلة للحوادث.

ويختصر العلماء ذلك بقولهم: "كل ما خطر ببالك، فالله بخلاف ذلك"، فمهما خطر في ذهن الأنسان، ومهما وردت عليه من خواطر، فالله تعالى يقيناً بخلاف ذلك.

ب- ما تسلبه (تنفيه) صفة مخالفة الحوادث:

- إنَّ إثبات صفة مخالفة الحوادث، يعني: سلب الجرمية، والعرضية، والكلية، والجزئية، ولوازمها، عن الله سبحانه تعالى.

- فلازم الجرمية هو التحيُّز، ولازم العرضية هو القيام بالغير، ولازم الكلية هو الكبر، ولازم الجزئية هو الصغر.

ج- الدليل العقلي على صفة مخالفة الحوادث:

١- أنَّه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها.

- ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها.

- ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحْدِث، ومُحْدِثه يحتاج إلى مُحْدِث...، وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل.

- فثبتت مخالفته سبحانه وتعالى للحوادث.

٢- كل من وجب له القدم، استحال عليه العدم.

- ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العدم، فلا شيء منها بقديم.

- فثبتت صفة مخالفة الحوادث لله تعالى.

- بمعنى لو فرضنا أنَّ شيئاً من الحوادث مماثلاً لله تعالى عن ذلك، لكانت الحوادث موصوفة بالقدم، والبرهان العقلي أنَّ الحوادث لا شيء منها موصوف بالقدم، ومن ثَمَّ لا شيء منها مماثلاً للمولى سبحانه وتعالى.

د- الدليل النقلي على صفة مخالفة الحوادث:

الدليل النقلي على مخالفته تعالى للحوادث، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

- فالآية نفت أن يكون شيئاً مماثلاً لله تعالى، ولكن في الوقت نفسه ذكرت أنَّ الله تعالى سميع بصير، فمع اتصافه بهاتين الصفتين، فإنَّه تعالى لا يماثله شيء.

- الآية تشبه النفي والاثبات في كلمة التوحيد.

صفة القيام بالنفس معناها ودليلها من العقل والنقل

أولاً: معنى صفة القيام بالنفس:

أ- معنى القيام بالنفس: معنى القيام بالنفس يشمل أمرين:

أولهما: عدم افتقاره تعالى إلى محل، والمراد بالمحل: الذات، والمكان.

ثانيهما: عدم افتقاره إلى المخصص، أي الموجد.

- الافتقار، يعني: الاحتياج.

وضد صفة القيام بالنفس: الاحتياج إلى غيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ب- أقوال العلماء في تفسير: «المحل»

للعلماء في تفسير المحل قولان:

الأول: منهم قال المراد بالمحل: الذات التي يقوم بها.

فصفة القيام بالنفس تعني: أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يفتقر إلى ذات يقوم بها، أي أنَّ الله تعالى ليس صفةً؛ لكي يفتقر إلى ذات فيقوم بها.

فالمحل عندهم بمعنى الذات، لا بمعنى المكان؛ لأنَّ تنزهه عن المكان عُلم من صفة مخالفة الحوادث.

الثاني: ومنهم من قال المُراد بالمحل: الذات والمكان معاً.

فعندهم المحل يشمل الذات والمكان.

فصفة القيام بالنفس تعني: أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يفتقر إلى ذات يقوم بها، ولا إلى مكان.

ثانياً: الدليل العقلي على صفة القيام بالنفس:

أ- الدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المحل (الذات والمكان):

١- الدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المحل بمعنى الذات:

الدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المحل بمعنى الذات، هو: أنَّه تعالى لو افتقر إلى محل، أي بمعنى الذات، لكان صفة.

ولو كان صفة لم يتصف بصفات المعاني، وهذا باطل؛

لأنَّها واجبة القيام به تعالى للأدلة القطعية الدالة على ذلك.

فثبت عدم افتقاره إلى المحل بمعنى الذات

٢- الدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المحل بمعنى المكان:

الدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المحل بمعنى المكان، هو: أنَّ المتمكن محتاج إلى مكانه، بحيث يستحيل وجوده بدونه.

والمكان مُسْتَغْنٍ عن المتمكن؛ لجواز الخلاء.
فلو كان مفتقراً إلى المكان، للزم إمكان الواجب، ووجوب المكان، وكلاهما باطل.
فثبت عدم افتقاره إلى المحل بمعنى المكان.

ب- الدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المخصص:

الدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المُخصص:
أنَّه لو افتقر إلى مخصص، لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحدِث يُحدثه، ...إلخ، وهذا يؤدي إلى الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل.
فقد سبق الدليل القطعي على وُجوبُ وُجُودِه، وقِدَمِهِ، وبَقَائِهِ ذاتاً وصفاتٍ.
فَبَطُل افتقاره إلى المخصص.

ثالثاً: الدليل النقلي على صفة القيام بالنفس:

الدليل النقلي على صفة القيام بالنفس وعدم افتقاره سبحانه وتعالى إلى شيء:
١- قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥].
٢- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت:٦].

رابعاً: تصور عدم افتقاره تعالى إلى المكان:

كيف يتصور العقل الإنساني عدم تحيزه سبحانه وتعالى في مكان؟
- مراجعة لمفهوم الأزلية، وتنزيه الله تعالى عن الخضوع للزمان.
فالجواب، هو: أن تصور المكان لأي جسم، يكون نتيجة ملاحظة واستقراء أحوال الأجسام التي نراها حالة في مكان ما.
أمَّا قياس الله تعالى على الأجسام في وجوب التحيز، فهو قياس باطل، فلا علة جامعة بين الأصل والفرع؛ لأنَّ العقل البشري محدود وقاصر عن إدراك كثير من الأمور، فهو يحكم بوجود أشياء كثيرة كالروح والعقل في الجسم، والكهرباء في الأسلاك المعدة لجريانها بها، ...إلخ، وإن لم يعرف حقيقتها أو كنهها، ولا يُدرك من سِرِّها شيئاً.
فإذا كان العقل البشري قاصراً عن إدراك كثير مما فيه وحوله، فكيف يمكن أن يتصور عدم تحيزه تعالى في مكان، مع أنَّه قطع بوجوده تعالى، وقصر عن إدراك كنهه وتصوره وفهمه؟!
فحسب الإنسان إذن أن يُؤمن بوجوده تعالى وبصفاته، ثُمَّ يَحَار في فهمه وتصوره.
وهذه هي حقيقة الإيمان بالغيب التي أمر الله بها عباده.

صفة الوحدانية معناها ودليلها من العقل والنقل

أولاً: تعريف الوحدانية وما تشمله:

أ- **تعريف الوحدانية إجمالاً، هي:** عدم التعدد في الذات، والصفات، والأفعال.

وعلى هذا فهي تشمل: وحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال.

وضد الوحدانية: التعدد في الذات، أو الصفات، أو الأفعال.

ب- الكم المتصل والكم المنفصل:

قبل الخوض في بيان معنى كل واحد ممَّا تشمله الوحدانية، لابُدَّ من بيان معنى الكم المتصل والكم المنفصل:

١- **الكم المتصل، يعني:** التَّركُّب، أي: عدة أجزاء تتحد مع بعضها لتُكونَ شيئاً واحداً.

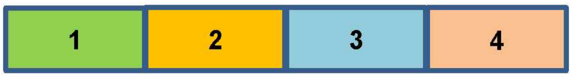

٢- **الكم المنفصل، يعني:** التَّعدد، أي: وجود أكثر من شيء لكل واحد منها استقلال عن الأخر.

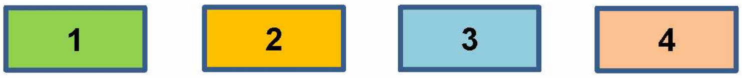

ج- وحدانية الذات:

وحدانية الذات، تعني:

نفي (الكم المتصل)، الذي هو التركيب، أي: تركيب الذات من أجزاء.

نفي (الكم المنفصل)، الذي هو التعدد، بحيث يكون هناك إلهان فأكثر.

د- وحدانية الصفات:

وحدانية الصفات، تعني:

نفي (الكم المتصل)، الذي هو تعدد صفتين من جنس واحد كقدرتين فأكثر.

ونفي (الكم المنفصل)، الذي هو إثبات صفة لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لزيد قدرة يُوجد بها ويُعدم كقدرته تعالى، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

هـ- وحدانية الأفعال

وحدانية الأفعال، تعني:

نفي (الكم المنفصل)، هو إثبات فعل لغيره تعالى على طريق الإيجاد والخلق.

أما (الكم المتصل)، في الأفعال، فإن صورناه بتعدد الأفعال، فهو ثابت، لا يصح نفيه؛ لأنَّ أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء...، وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال، فهو منفي أيضاً بوحدانية الأفعال.

و- الكُمُوم الخمسة:

في ضوء ما سبق نجد أنَّ الوحدانية قد نفت كُمُوماً خمسة، وهي:

١- الكم المتصل في الذات.

٢- الكم المنفصل في الذات.

٣- الكم المتصل في الصفات.

٤- الكم المنفصل في الصفات.

٥- الكم المنفصل في الأفعال.

ثانياً: الدليل العقلي على وحدانية الله تعالى:

أ- برهان وحدانية الذات – نفي الكم المتصل في الذات:

الدليل على نفي الكم المتصل في الذات، (أي: أنَّه تعالى ليس مركباً من أجزاء)، هو:

أنَّه تعالى لو كان مركباً من أجزاء، لكان محتاجاً إلى تلك الأجزاء، وإلى من يركبها، وعندئذ يكون حادثاً، وهو باطل لما تقدم من إثبات أنَّه تعالى مخالف للحوادث.

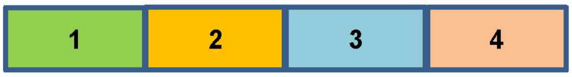

ب- برهان وحدانية الذات – نفي الكم المنفصل في الذات:

نفي الكم المنفصل في الذات، يعني: أنَّ الله تعالى إله واحد لا شريك له، يشاركه التصرف في المخلوقات.

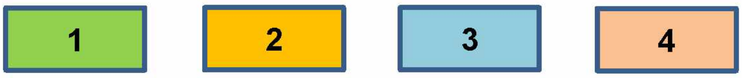

والدليل عليه: أنَّه لو لم يكن واحداً لكان متعدداً، بأنَّ يكون هناك إلهان فأكثر.

ولو كان هناك إلهان أو أكثر، فإمَّا أن يتفقا، وإمَّا أن يختلفا.

يقوم هذا البرهان على إثبات أنَّ القول بتعدد الالهة يؤدي إلى نفي وجود الخالق.

- الاتفاق يُطلق عليه: (برهان التوارد).

- الاختلاف يُطلق عليه: (برهان التمانع).

١- برهان وحدانية الذات – برهان التوارد:

فإن اتفقا على إيجاد شيء، فهذا البرهان يُسمى: (برهان التوارد)، لتواردهما على شيء واحد:

- فإمَّا أن يُوجِدَاه معاً، وعندئذ يلزم اجتماع مؤثرين تامَّين على أثر واحد، وهو باطل بالبداهة.

- وإمَّا أن يُوجِدَاه مُرَتَبَيْنِ: بأنَّ يُوجِدَه أحدُهما، ثُمَّ يُوجِدَه الآخر، وعندئذ يلزم تحصيل الحاصل، وهو باطل بالبداهة.

- وإمَّا أن يُوجِدَه أحدهما دون الآخر، وعندئذ كان المُوجِد هو الإله، والثاني باطل.

- وإمَّا أن يُوجِد كلٌّ منهما بعض الشيء دون البعض الآخر، وعندئذ يلزم عجزهما؛ لأنَّه لَمَّا تعلَّقت قدرة أحدهما بالبعض سدَّ على الآخر طريق تعلق قدرته به، فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز، وكل ذلك باطل.

فبَطُلَ ما أدى إليه، وهو وجود إلـهين متفقين.

٢- برهان وحدانية الذات – برهان التمانع:

وإن اختلفا، بأنَّ أراد أحدهما إيجاد العالم، وأراد الآخر إعدامه، فهذا البرهان يُسمى: (برهان التمانع)، لتمانعهما وتخالفهما:

- فإمَّا أن يَنْفُذ مرادهما معاً، وعندئذ يلزم اجتماع الضدين، وهو باطل بالبداهة.

- وإمِّا أن يَنْفُذ مراد أحدهما فقط دون الآخر، وعندئذ يلزم عجز من لم يَنْفُذ مراده، والآخر مثله، لانعقاد المماثلة بينهما.

- وإن لم ينفذ مراد أحدهما، لَزِم عجز كلّ منهما، ولَزِم ارتفاع (زوال) الضدين، وهو باطل.

فبطل ما أدى إلى ذلك، وهو وجود إلـهين مختلفين.

فإذا بَطُلَ وجود إلـهين متفقين أو مختلفين، وجب أن يكون الإلـه واحداً، لا شريك لـه.

خلاصة برهان التمانع من كلام الإمام الغزالي:[٤]

يمكن التعبير عن هذا الدليل بما قاله الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) في إحياء علوم الدين: «وبرهانه قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا**﴾(الأنبياء:٢٢)، وبيانه:

لو كانا اثنين – يتصف كل منهما بصفات الألوهية، ومنها: الإرادة وتمام القدرة – وأراد أحدهما أمراً، فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته، كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً، ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان الثاني قادراً على مخالفة ومدافعته، كان هذا الثاني قوياً قاهراً، والأول ضعيفاً قاصراً، فلم يكن إلهاً قادراً».

ثالثاً: الدليل النقلي على وحدانية الله تعالى:

الدليل النقلي على وحدانية الله تعالى، جاء في نصوص قرآنية عدة، ومنها: قوله عزَّ وجلَّ:

١- ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(١)اللهُ الصَّمَدُ(٢)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)**﴾(الإخلاص).

٢- ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة: ١٦٣).

٣- ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾(محمد:١٩).

٤- ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(الأنبياء:٢٢).

٥- ﴿**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(المؤمنون:٩١).

---

[٤] هذا هو المطلوب كدليل عقلي على الوحدانية.